

الميزان والجنة والنار

مذكرة تعليمية بطريقة السؤال والجواب

إعداد

د/ عيسى بن عبد الله السعدي
أستاذ العقيدة بجامعة الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله
وصحبه أجمعين
أما بعد :-
فهذه مذكرة تعليمية بطريقة السؤال والجواب ؛ لتسهيل وتقريب مباحث
الصراط ، والميزان ، والجنة والنار التي يدرسها طلاب كلية الشريعة من
شرح العقيدة الطحاوية ، أسأل الله أن ينفع بها ، وأن يجعلها خالصة لوجهه
الكريم
أمين .

كتبه د/ عيسى بن عبد الله السعدي

الصراط والميزان

س١/ هل الصراط عام أو خاص ؟

ج١/ ظاهر قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) يدل على العموم ، ولكن ثبت في الحديث الصحيح ما يدل على أنه خاص بالمؤمنين والمنافقين ، وأما الكفار فيسقطون في النار قبل ذلك حين يقال : ليتبع كل أناس ما كانوا يعبدون .

س٢/ هل الميزان واحد أو متعدد ؟

ج٢/ يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة ؛ لقوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) ، ويحتمل أن يكون ميزانا واحدا ؛ لحديث : (والحمد لله تملأ الميزان) ، وعلى هذا يكون الجمع في الآية باعتبار تنوع الأعمال الموزونة ، والله أعلم .

س٣/ هل ميزان الأعمال حسي أو معنوي ؟

ج٣/ الذي دلت عليه السنة أن لميزان الأعمال كفتان حسيتان مشاهدتان ؛ كحديث البطاقة ، وفيه : (فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة) ، ونظائره .
وذهبت المعتزلة إلى أنه ميزان معنوي ؛ وهو كناية عن العدل ، واستدلوا على ذلك بما يلي :-

١- أن الأعمال أعراض (أي صفات) ، والأعراض لا تقبل الوزن ، وإنما يقبل الوزن الأجسام .

وهذا ليس بصحيح ؛ لأن الله يقرب الأعراض أجساما ؛ كما ورد في العمل الصالح أنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الشاحب اللون ، وأن البقرة وآل عمران يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيبائتان أو فرقان من طير صواف .

٢- أنه لا يحتاج إلى الميزان إلا الجاهل بمقادير الأشياء ؛ كالبقال ونحوه . وهذا نقص ينافي حكمة الله ، وكمال علمه بأعمال العباد .

وهذا رد للنص بالعقل ، ولا شك أن للميزان حكما كثيرة ، لا تحيط بها عقول العباد ، ولو لم يكن منها إلا ظهور عدله تعالى وكمال إعداره لكفى ، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين .

س٤/ هل الوزن للعمل أو العامل أو صحف الأعمال ؟

ج٤/ الوزن تارة يكون لصحف الأعمال ؛ كما في حديث البطاقة ؛ وفيه : (فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ؛ فطاشت السجلات ،

وثقلت البطاقة) . وتارة يكون للعامل ؛ لحديث : (والذي نفسي بيده لهما
– أي ساقى ابن مسعود - أثقل في الميزان من جبل أحد) . وتارة يكون
للعمل ؛ لحديث : (كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان إلى الرحمن ،
ثقيلتان في الميزان ؛ سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) .

الجنة والنار

س/٥ هل الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ؟
ج/٥ اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ،
واستدلوا لذلك بأدلة كثيرة ؛ كقوله تعالى عن الجنة (أعدت للمتقين) وعن
النار (أعدت للكافرين) ، وحديث (ثم دخلت الجنة فإذا هي جناز - أي
قباب - اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك) ، وحديث : (رأيت الجنة والنار) ،
وحديث : (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل ... الحديث) ؛ فعلم
من ذلك ونظائره الكثيرة أنها مخلوقة معدة ؛ رآها النبي صلى الله عليه
وسلم رؤية حقيقية ، ووصف ما رأى من نعيم الجنة وعذاب النار .
وذهبت القدرية (أي المعتزلة) إلى أنهما ليستا بموجودتين الآن ، وإنما
ينشئهما الله يوم القيامة ، واستدلوا لذلك بثلاثة أدلة :-

١- أن خلق الجنة قبل يوم القيامة عبث ؛ لأنها تبقى معطلة مددا متطاولة !
وهذا ليس بصحيح ؛ فوجودهما الآن لا يعني أنهما معطلتين ؛ فالمؤمن في
قبره يأتيه من روح الجنة وطيبها ، ومن أرواح المؤمنين من تكون في
حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، أو في صورة طير
تعلق - أي تأكل وترعى - في شجر الجنة . والكافر يفتح له باب إلى النار
فيأتيه من حرها وسمومها ، ومن أرواح الكفرة من تعذب في النار بكرة
وعشيا كأل فرعون ، ومنها ما تكون في النار كقوم نوح ؛ قال تعالى (مما
خطيأتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً) .

٢- أنها لو كانت موجودة الآن لوجب اضطرارا أن تفنى قبل يوم القيامة ،
وأن يهلك كل من فيها ويموت ؛ لقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا
وجهه) .

وهذا ليس بصحيح ؛ لأن المراد كل شيء كتب عليه الفناء والهلاك ،
والجنة والنار خلقتا للبقاء ، وكذلك العرش والكرسي كل ذلك خلق للبقاء
فلا يدخل في عموم الآية .

٣- أنه ثبت في الأحاديث أن الجنة قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ،
والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وأن من قال سبحان الله غرست له
نخلة في الجنة ؛ فلو كانت مخلوقة مفروغا منها لما كان لهذا الغراس
معنى .

والرد أنكم إن أردتم بقولكم أنها معدومة فأدلتكم ترد قولكم ، وإن أردتم أنها
لم يكمل خلقها فهذا حق ، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر ؛ فالجنة لا

يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء ، ويستمر ذلك حتى بعد أن يدخلها المؤمنون ، ولا ينافي خلقها ووجودها .

س٦/ ما أدلة أبدية الجنة ؟

ج٦/ أدلة أبدية الجنة كثيرة ؛ منها قوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) ، وقوله : (وما هم منها بمخرجين) ، وقوله : (أكلها دائم وظلها) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت) .

وأما قوله تعالى (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) ؛ فإن الاستثناء في قوله تعالى (إلا ما شاء ربك) لا ينافي أدلة خلود أهل الجنة لقوله آخر الآية (عطاء غير مجذوذ) ؛ أي غير مقطوع ؛ وإنما هو لإعلام أهل الجنة أنهم مع خلودهم لا يخرجون عن مشيئته ولا ينافي ذلك جزمه لهم بالخلود ؛ كما في قوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) ونظائره ؛ وفي توجيه الآية أقوال أخرى ، وعلى كل تقدير فالاستثناء من المتشابه الذي يجب رده للمحكم ؛ كقوله تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) .

س٧/ ما أدلة أبدية النار ؟

ج٧/ أدلة أبدية النار كثيرة ؛ منها :-

١- قوله تعالى : (ولهم عذاب مقيم) ، وقوله : (وما هم بخارجين من النار) ، وقوله : (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) .

٢- التصريح بخلودهم الأبدي في ثلاثة مواضع من القرآن في سورة النساء ، والأحزاب ، والجن ؛ قال تعالى : (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً) ، وقال : (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً) ، وقال : (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) . وقد استدلل ابن كثير بهذه الآيات الثلاث بإبطال القول بفناء النار .

٣- أن السنة المستفيضة دلت على أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار ، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان .

س٨ / هل قال أحد من السلف بفناء النار ؟

ج٨ / بقاء الجنة محل إجماع بين السلف ، وأما بقاء النار فقد ذكر شارح الطحاوية أن من السلف من قال بفنائها ، وذكر أن ذلك منقول عن عمر وابن مسعود وأبي سعيد وغيرهم ، وقد أطل ابن القيم في الاستدلال لهذا

القول حتى ظن أنه يقول بذلك ، مع أن كلامه الصريح إنما يدل على توقفه في هذه المسألة ، لا على قطعه بفنائها .

وقد أنكر الألباني في تعليقاته على شرح الطحاوية أن يكون القول بفناء النار ثابتا عن أحد من السلف ، وإنما هي آثار واهية نقلت عنهم ؛ فلا تقوم بها حجة .

س ٩ / بم استدل من قال بفناء النار ، وبقاء الجنة ؟

ج ٩ / استدلوا بأدلة كثيرة ، أفاض ابن القيم في ذكرها في حادي الأرواح وغيره ، ولخص عنه الشارح بعضا منها ؛ فمن ذلك :-

أ- قوله تعالى : (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) ؛ وقوله : (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) ؛ فالاستثناء يدل على عدم خلودها ، وبخاصة أنه لم يأت بعده ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة ؛ وهو قوله (عطاء غير مجذوذ) .

ب- قوله تعالى : (لا بثنين فيها أحقابا) ؛ فتقييد لبثهم بالأحقاب دليل على أنها مؤمدة لا مؤبدة ؛ ولهذا روي عن عمر أنه قال في تفسيرها : لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه .

ج- أن القول بفناء النار هو موجب الرحمة ؛ فرحمة الله سبقت غضبه ، ووسعت كل شيء ، فلا بد أن تسع هؤلاء المعذبين ، فلو بقوا في العذاب إلى الأبد لخرج كثير من الخلق عن رحمة الله الواسعة .

د- أن فناء النار هو موجب الحكمة ؛ إذ ليس في حكمة الله أن يخلق خلقا يعذبهم سرمدًا ، وأما أن يخلق خلقا ينعمهم سرمدًا فموجب الحكمة ؛ لأن الإحسان مراد لذاته ، والعذاب مراد بالعرض .

وهذه الوجوه وغيرها تعارض النصوص الصريحة في أبدية النار ، وخلود أهلها فيها ، وقد حاول أصحاب هذا القول رفع دلالاتها بتأويلات غير مسلمة عند أهل العلم ؛ ولهذا أفرد الصنعاني كتابا خاصا لنقض هذا القول ، ورد استدلالته ، وسماه : (رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار) . ونبه الألباني في تعليقاته على شرح الطحاوية على بطلان هذا القول ، وضعف الآثار التي استدلوا بها .

س ١٠ / هل هناك أقوال أخرى في أبدية النار ودوامها ؟

ج ١٠ / نعم هناك أقوال أخرى ذكرها الشارح ، تنبيهها على بطلانها ومخالفتها لدلالات النصوص ؛ وهي :-

أ- أن من دخل النار خلد فيها ، ولم يخرج منها أبدا ! وهذا قول الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم من الزيدية وغيرهم ، وهو قول باطل يعني خلود عصاة الموحدين في النار ، والتكذيب بنصوص الشفاعة ، والوعد على الشهادة .

ب- أن أهلها يعذبون فيها ، ثم تنقلب طبائعهم إلى طبائع نارية ؛ فتستعذب العذاب ، وتتلذذ به ! وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي .
وتصوره كاف في معرفة فسادة .

ج- أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم يخرجون ويخلفهم آخرون ، وهذا قول حكاة الله عن اليهود وأكذبهم فيه ؛ قال تعالى (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدا أم تقولون على الله ما لا تعلمون) .

د- وذهب الجهم بن صفوان إلى القول بفناء الجنة والنار معا ؛ لامتناع ما لا يتناهى من الحوادث في الماضي والمستقبل ! وهذا الأصل هو عمدة أهل الكلام في الاستدلال على حدوث الأجسام . وقد وافقه على هذا أبو الهذيل العلاف من المعتزلة ؛ لكنه رأى أنه يقتضي فناء حركات أهل الجنة والنار لا ذواتهم ! وهذا قول منكر ، خالف أهله إجماع الأمة ؛ طردا لأصلهم الفاسد الذي لم يقف بهم عند نفي الصفات ، بل جرهم إلى إنكار خلود أهل الدارين .

تمت والحمد لله رب العالمين
